أسس الحوار وأثره
على المجتمع العراقي

اعداد
م.م.أحمد ثامر كامل
م.م.بهاء خالد عارف

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أنبياء الله أجمعين، عليهم وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

شاء الله بحكمته البالغة أن يختلف البشر في اتباعهم لأنبياء الله ورسله، فمنهم شقي وسعيد، وأرسل الله الأنبياء يقيمون حجته على خلقه، يدعونهم إلى دين الله الذي ارتضاه لخلقه ديناً ليكونوا من السعداء، ويحذرونهم من عصيان أمره حتى لا يكونوا من الأشقياء، ولكن إرسالهم لن يمنع تحقق ما قد سبق في علم الله، فإن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (يوسف: ١٠٣).

وأمام هذه السنة الكونية فإن المسلم مطالب بالحوار مع الآخرين، وهو على يقين بأن هداية الله قد لا تكتب لكثيرين ممن يدعوهم، فلا يمنعه ذلك من بلاغهم: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ (الشورى: ٤٨).

واليوم وقد أصبح العالم قرية صغيرة تتلاقح فيها الثقافات عبر وسائل الإعلام المختلفة، تزداد الحاجة إلى الحوار، وإلى ضرورة تأصيله من الناحية الشرعية.

وحين نتحدث عن الحوار فإنا لا نقصد بحال من الأحوال الحوار الذي يقوم على وحدة الأديان، والتلفيق بينها، وصهرها في دين عالمي جديد، قائم على الجمع بين المتناقضات، الكفر والإيمان، التوحيد والوثنية، فتلك الدعوة دسيسة تسترت بالحوار ينأى المسلم بنفسه عنها.

وإسهاماً منا في هذا الباب نتقدم ببحثنا الموسوم(أسس الحوار وأثره على المجتمع العراقي)، وقد قسمته إلى أربعة مطالب وهي: **المطلب الأول:** تعريف الحوار والألفاظ ذات الصلة. **المطلب الثاني:** حتمية الخلاف. **المطلب الثالث:** ثر الحوار في المجتمع العراقي. **المطلب الرابع:** أنواع الحوار الحضاري.

المطلب الأول: تعريف الحوار والألفاظ ذات الصلة:

أولاً: الحوار:

أ.تعريفه لغة: أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء، يقول ابن منظور: "الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء .. والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة ".[١]

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور "[٢]، وهذه المعاني اللغوية وردت في سياق الآيات الكريمة التي ورد فيها مادة (حور).

قال تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ (الانشقاق:١٤). قال القرطبي: "أي لن يرجع حياً مبعوثاً.. فالحور في كلام العرب الرجوع"، وقال تعالى: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ (الكهف ٣٤). قال القرطبي: " أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور التجاوب"[٣].

وقال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ (المجادلة: ١)، قال في الجلالين: "تراجعكما" أي في الكلام[٤].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ (٢١٧/٤).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، الحسين بن المفضّل(ت٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داودي، بيروت الدار الشامية، ط١، لعام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م (٢٦٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد بن فرج القرطبي (٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م (٤٠٣/١٠).

(٤) تفسير الجلالين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر السيوطي وجلال الدين محمد بن أحمد المحلى، القاهرة، ط١، دار الحديث (٧٢٤/١).

وورد هذا المعنى أيضاً في غير ما حديث نبوي، من ذلك أن النبي ﷺ كان يستعيذ من: ((الحَوْر بعد الكَوْر))،[١] قال القرطبي: "يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة".[٢]

وقال ﷺ: ((من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك، إلا حار عليه))[٣] قال النووي: " رجع عليه ".[٤]

ومما سبق تبين أن الحوار في معناه اللغوي **هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.**

ب. **تعريفه الحوار اصطلاحاً:** ولم تبعد تعريفات أهل الاصطلاح للحوار عن المعاني اللغوية السابقة، فقد أكدتها وأضافت إليها بعض المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توفرها في الحوار.

---

(١) رواه النسائي السنن الكبرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١، (١٤١١هـ – ١٩٩١م) ح (٥٤٩٨)، والحديث إسناده صحيح.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/١٩).

(٣) رواه مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت،٢٦١هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المسمى (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ح (٦١).

(٤)شرح النووي على صحيح مسلم ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/٢، (١٣٩٢هـ) (٥٠/٢).

ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور صالح بن حميد، إذ عدّ الحوار: " مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي ".[١]

وعرّفه بسام داود عجك بأنه: "محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر ".[٢]

وهكذا فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً.

ثانياً: الجدال لغة: من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه، قال ابن منظور: "الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها.. ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً، أي: غلبته. ورجل جدِل، إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي: خاصمه مجادلة وجدالاً ".[٣]

وعن معنى الجدل عند أهل الاصطلاح يقول ابن منظور: "الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة".[٤]

---

(١)الحوار النصراني الإسلامي تاريخه وأهدافه وغاياته والموقف الشرعي منه، محمد بن عبد الله السحيم، شبكة الألوكة (٢).

(٢)الحوار مع أتباع الاديان، د منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الاسلامي (٢٠).

(٣) لسان العرب (١٠٥/١١).

(٤) لسان العرب (١٠٥/١٢).

وعرفه الجرجاني بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"، كما عرَّفه أنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة".(١)

وأما الجويني فيرى أن الجدال: "إظهار المتنازعَيْن مقتضى نظرَتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة".(٢)

وفي المعجم الوسيط: "طريقة في المناقشة والاستدلال، وهو عند مناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات".(٣)

الجدل في الاصطلاح: وقد ورد إطلاق (الجدل) في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

الأول: الجدل المذموم، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة واللدد،(٤) ومنه قول الله تعالى: ﴿وقالوا ءآلهتنا خيرٌ أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قومٌ خصمون﴾ (الزخرف: ٥٨)، ومثله قول الله تعالى في ذم جدال الكافرين: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ (غافر: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ (غافر: ٥)، وقوله تعالى: ﴿لا جدال في الحج﴾ (البقرة: ١٩٧) قال ابن منظور: "قالوا: معناه لا ينبغي للرجل أن يجادل

---

(١)التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٦م (١٠٢).

(٢) الكافية في الجدل (١٩- ٢١).

(٣)المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، دار الدعوة، تركيا، ط٣، ١٩٨٩م (١/١١١).

(٤) ينظر: أصول الجدل والمناظر، محمد أبو الفتح البيانوني، ١٩٩٠م. ص١٠.

أخاه، فيخرجه إلى ما لا ينبغي".[١]

وفي الحديث: ((ما ضَلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل)).[٢]

والمراد بذلك ما ذكرناه من الجدل المذموم، وطلب المغالبة به، لا الجدل بحثاً عن الحق وفي طلبه، فإن ذلك اللون من ألوان النوع الثاني الجدل محمود.

والثاني: الجدل المحمود، وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة[٣]، ومنه قوله عز وجل: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥).

وهو بهذا المعنى مرادف للحوار، قال تعالى واصفاً حديث المرأة إلى النبي ﷺ بالحوار والجدال، فقال: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (المجادلة:١). قال ابن كثير: " وهو يحاوره، أي: يجادله ".[٤]

---

(١) لسان العرب (١٠٥/١١).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م ح (٣٢٥٣)، وابن ماجه، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت: ٢٧٣هـ) سنن ابن ماجه تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م ح (٤٨)، مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م ح (٢١٦٦٠)، والحديث إسناده حسن.

(٣)ينظر: أصول الجدل والمناظر، محمد أبو الفتح البيانوني، ١٩٩٠م. ص١٠.

(٤)تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة (٧٧٤هـ)، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م (٨٤/٣).

وهكذا فالجدال صورة من صور الحوار، وقد أمر بها الله ورسوله، وتجنباً لما قد يكتنفه من اللدد في الخصومة فإنهما أمرا بالمجادلة بالتي هي أحسن، بعيداً عن ضروب الجدل المذموم الذي يفضي إلى الشقاق.

ثالثاً: المناظرة:

المناظرة لغة "من النظير، أو من النظر بالبصيرة" كما عند الجرجاني، وقال ابن منظور: "والمنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك أو سائك ... النظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك ".(١)

أما في الاصطلاح فقد عرفها الجرجاني: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب".(٢)

وعرفها ابن منظور: "أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه".(٣)

وقال الزَّبيدي: "والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته".(٤)

قال محمد الأمين الشنقيطي في تعريف المناظرة: "المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق".(٥)

---

(١) التعريفات (٢٩٨)، لسان العرب (٢١٧/٥).

(٢) التعريفات (٢٩٨).

(٣) لسان العرب (٢١٧/٥).

(٤) تاج العروس (٥٧٥/٣).

(٥) آداب البحث والمناظرة (٣/٢).

فالمناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين، وحوار المناظرة يكون بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين، بغية الوصول إلى تبيان الحق وكشف الباطل، مع توفر الرغبة الصادقة في ظهور الحق والانصياع له.

المطلب الثاني: حتمية الخلاف:

إن التعدّد في المخلوقات وتنوّعها سنة الله في الكون وناموسه الثابت، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب غيره أحياناً، وتتنافر عنها في أحايين أخرى، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التّنوّع والتّعدّد.

والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكلّ من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السُّنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر بعض صور الاختلاف بين البشر، كاختلاف الألوان واللغات، وهما فرع عن اختلاف الأجناس والقوميات: ﴿ ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (الروم:٢٢).

وقد أكدت الآيات أن اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبط بحكمته، يقول الله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ (المائدة: ٤٨).

قال ابن كثير: "هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد ".[١]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).

وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (هود: ١١٨– ١١٩).

قال ابن حزم: "وقد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كونٍ، كما أراد الكفر وسائر المعاصي".[١]

قال القرطبي: "﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ قال سعيد بن جبير: على ملة الإسلام وحدها.. ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ أي: على أديان شتى قاله مجاهد وقتادة ".[٢]

وقال ابن كثير: "﴿ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم .. قال الحسن البصري: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف".[٣]

ويقول الفخر الرازي: " والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال".[٤]

بل يرى الحسن البصري ومقاتل وعطاء وغيرهم من المفسرين أن الله خلق الناس ليختلفوا، وذلك لقوله: ﴿ ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (هود: ١١٨– ١١٩).

---

(١)الإحكام في أصول الأحكام: للإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ) تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة–بيروت (٦٤/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٢).

(٤)التفسير الكبير، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (٧٦/١٨).

وذهب آخرون من المفسرين ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة إلى أن اسم الإشارة يعود إلى الرحمة، أي: خلقهم ليرحمهم، وذهب ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما إلى عود الإشارة إلى الأثنين معاً، أي: خلقهم ليختلفوا، وليرحم من سلك الصراط المستقيم.(١)

يقول ابن سعدي: " يخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، وعن قوله سبحانه: ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال: أي اقتضت حكمته، أنه خلقهم ليكون منهم السعداء [و]الأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذي هدى الله، والفريق الذي حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر ".(٢)

وفي معنى الآية يقول محمد رشيد رضا: " ﴿لو شاء ربك﴾ أيها الرسول الحريص على إيمان قومه الآسف على إعراض أكثرهم عن إجابة دعوته واتباع هدايته ﴿ لجعل الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة، لا رأي لهم فيه ولا اختيار، وإذاً لما كانوا هم هذا النوع من الخلق المُسمّى البشر وبنوع الإنسان، بل كانوا في حياتهم الاجتماعية كالنحل أو كالنمل، وفي حياتهم الروحية كالملائكة مفطورين على اعتقاد

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).

(٢)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م (٣٩٦/٢).

الحقِّ وطاعة الله عز وجل، فلا يقع بينهم اختلاف، ولكنّه خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا مُلْهَمين، وعاملين بالاختيار".[١]

ولما كان الاختلاف والتّعدّد آية من آيات الله، فإنّ الذي يسعى لإلغاء هذا التّعدّد كلية، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعاً، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف، والاعتراف بوقوع هذا الخلاف لا يعني إقرار هذه المختلفات ولا تسويغ الاختلاف فيها، لكنه يفرض على أهل الحق أن يتصدوا لهداية من قدروا على هدايته من المختلفين عنهم، مع يقينهم بالعجز عن إنقاذ الكثيرين ممن اختار العماية، قال تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ (الرعد: ٣١).

قال القرطبي: " والمعنى على هذا: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً أن يشاهدوا الآيات "[٢].

وعليه فإن هداية الجميع من المحال، فإن أكثر الناس لا يعلمون الحق، وأكثرهم لا يؤمنون به إن علموا به، وواجب الدعاة الدأب في دعوتهم وطلب أسباب هدايتهم، أي بذل الجهد في إزالة الخلاف ورفعه، فإن أعرض من أعرض عن الإسلام فإنما أمر الله المسلمين بإبلاغ رسالاته في الدنيا، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ فإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ (النحل: ٨٢).

قال القرطبي: " فإن تولوا أي أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان؛ فإنما عليك البلاغ، أي ليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فإلينا".[٣]

---

(١)تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م (١٩٣/١٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٠/٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٠).

وقال تعالى: ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٠).

قال الطبري: " وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي، ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعني بذلك: والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه، فيطيعك بالإسلام، وبمن يتولى منهم عنه معرضاً فيرد عليك ما أرسلتك به إليه، فيعصيك بإبائه الإسلام"[١]

قال الشوكاني في سياق شرحه لقول الله تعالى: ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد: ٤٠): " أي: فليس عليك إلا تبليغ أحكام الرسالة، ولا يلزمك حصول الإجابة منهم، لما بلّغته إليهم، ﴿وعلينا الحساب﴾ أي: محاسبتهم بأعمالهم ومجازاتهم عليها، وليس ذلك عليك، وهذا تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ، وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به، وليس عليه غيره، وأن من لم يجب دعوته ويصدق نبوته، فالله سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترأ عليه من ذلك".[٢]

وقال تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر ۞ لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢)، قال الطبري: " يقول: لست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، يقول: كِلْهم إليّ، ودعهم وحكمي فيهم... ".[٣]

---

(١)جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م (٢١٥/٣).

(٢)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد ابن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير . دمشق، دار الكلم الطيب . بيروت، ط١، ١٤١٤هـ (٩٠/٣).

(٣) جامع البيان (١٦٦/٣٠).

قال ابن كثير: " ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني المشركين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ (الشورى: ٤٨) أي: ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ (الغاشية: ٢٢)، وقال عز وجل: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد: ٤٠)، وقال جل وعلا في آية الشورى: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ (الشورى: ٤٨) أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم".[١]

فالإسلام – كما رأينا – يعترف بوجود الاختلاف وعدم إمكانية جمع الناس على دين واحد، ويطلب من الدعاة ورثة الأنبياء القيام بواجب البلاغ في الدنيا واستفراغ الوسع في الإرشاد والنصح للعالمين، ثم الله يتولى – بحكمه وعدله – يوم القيامة حساب المعاندين وجزاء المؤمنين.

المطلب الثالث: أثر الحوار في المجتمع العراقي:

للحوار آثار كثيرة في المجتمع العراقي، وسنحاول أن نركز على بعض منها وهي:

التآلف بين الناس ونشر المحبّة بينهم: فبالرغم مما عاناه الشعب العراقي ما يزال يعد من أكثر الشعوب تماسكا، وعطفا وكرما، وهذا يُساهم في وجود مجتمعات صالحة؛ لما يولّده الحِوار من راحة للناس، والقدرة على التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم ضمن بيئة آمنة، لفهم حقيقة المشاعر التي ينبني عليها الخلاف، ومن ثم تفهُّمها وتقبُّلها، ومحاولة الوصول إلى حلّ مُشترك[٢]، ويعُدّ الدكتور جون غراي أنّ هناك سلوكياتٍ تُدمِّر إمكانيّة

(١) تفسير القرآن العظيم (١٢١/٤).

(٢) مهارات الاتصال مع الآخرين، حسين جلوب (٢٠١٠)، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة، ص ٢٢.

الحِوار ينبغي تجنُّبها، مثل: المباشرة بالقتال والانتقام، أو الانسحاب من الجدل، ممّا يورِث ندوباً دون فائدة؛ حيث ينبغي أن يتَّخذ الإنسان حلّاً وسطاً بين الاثنين(١).

بناء معارف الإنسان: يعدّ المفكر طه عبد الرحمن أنّ للحوار مكانةً أساسيّةً في تطوير معارف الإنسان ومداركه، وذلك من نواحٍ ثلاث:

الناحية الأولى: الحِوار يفتح المدارك على الطرق المختلفة المُؤدّية إلى الحقيقة؛ فالطريق إلى الحقيقة ليس واحداً، بل هناك عدّة طرق، وإذا حصر الإنسان نفسه في أفكاره فسَيحرِم نفْسه من الطرق الأخرى التي تؤدّي إلى الحقيقة(٢).

الناحية الثانية: الحِوار يردم حدّة الخلاف القائمة بين الأفكار، فمع تبادل الأفكار والحِوار تتقلّص الفجوة بين الطّرفين المختلفين، بل قد يتطوّر ذلك إلى تبنّي أفكار الآخر المُخالِف، واستعمالها كأدلَّةٍ جديدةٍ لأفكار جديدة(٣).

الناحية الثالثة: الحِوار يساهم في تعميق أفكار الفرد ومداركه؛ فعقل الإنسان يتقلّب ويتغيّر في إدراكه للأشياء، وهو ما لا يتمّ إلا بالتعرُّف على الأفكار الجديدة المُخالِفة، والتعرُّف على ما يملكه الآخر بدلاً من الجمود والرّكون لما هو موجود(٤).

---

(١)الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، جون غراي (٢٠٠٤)، ط٢، الرياض، مكتبة جرير، ص٢١١-٢١٢.

(٢)مهارات الاتصال مع الآخرين، حسين جلوب، ص٢٦.

(٣)طه عبد الرحمن (٢٠١١)، حوارات من أجل المستقبل (الطبعة الأولى)، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، صفحة: ٧-٨.

(٤) حوارات من أجل المستقبل، طه عبد الرحمن (٢٠١١)، (الطبعة الأولى)، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، صفحة: ٧-٨.

الإنصاف: إن الاعتراف بالحق وإعلانه -أيضًا- لا ينقص من قيمة الإنسان، فكونك تقول في مناظرة أو محاورة أو محاضرة: أنا أخطأت في كذا، هذا لا يعيبك؛ بل هذا يرفع منزلتك عند الناس، ويدل على شجاعتك وقوتك، وثقتك بنفسك، وربما أجرى الله تعالى كلمة الحق على لسان الفاسق، أو حتى على لسان الكافر -أحيانًا-، فيمكن أن تستفيد من المحاور ولو كان فاسقًا أو كافرًا، فقد تستفيد منه عيبًا موجودًا عندك أو عند المسلمين، أو تستفيد منه مصلحة دنيوية للمسلمين، أو أسلوبًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ربما فطن له هو، وغفلت أنت عنه(١).

البدء بمواضع الاتفاق والإجماع: فمن المصلحة ألا تبدأ الحوار بقضية مختلف فيها؛ بل ابدأ بموضوع متفق عليه، أو بقاعدة كلية مسلَّمة أو بدهية، وتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم إلى مواضع الخلاف، عملا بقول العلماء نتعاون فيما اتفقنا عليه وهو كثير ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه وهو قليل(٢).

ترك التعصب لغير الحق: ومن آثار الحوار ترك التعصب لمذهب أو لوطن، أو قبيلة، أو لدعوة، أو لجماعة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوى الجاهلية بقوله: ((دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ))(٣).

احترام الطرف الآخر: فنحن مأمورون أن نُنزل الناس منازلهم، وألا نبخس الناس أشياءهم، والناس اليوم تعي وتعقل، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم - **"ليس**

---

(١) المجتمع الأمثل من وحي الكتاب والسنة، احمد فهمي، النوارس للدعاية والنشر، ط١، ص١٧٧.

(٢) ينظر: الخطاب الإعلامي والقضايا المعاصرة، شعيب الغباشي، عالم الكتب، ط١، ص٥٦.

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٨).

المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء"[١].

فالمؤمن ليس باللعان، ولا بالطعان في الناس وأعراضهم، ونياتهم ومقاصدهم وأحوالهم، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحِّشًا، وكان يقول: **إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**"[٢]، فهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم وصفته، وهذا كلامه في وصف المؤمن، أنه لا يحب الفحش ولا التفحش.

التواضع بالقول والفعل: ومن فوائد الحوار التواضع بالقول والفعل، فبعض الناس إذا حاور شخصًا أو حادثه أعرض ونأى بجانبه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الكبر بطر الحق وغمط الناس**" [٣]، فمن التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به حتى ولو كان أعدى أعدائك، وتعدّ ذلك ضالتك المنشودة، فأنت باحث عن الحقيقة أنىَّ وجدتها فأنت أحق بها.

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٣٨)، وأحمد (٣٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٢)، والترمذي (١٩٧٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٤)، والبزار (١٥٢٣)، وأبو يعلى (٥٣٦٩)، والطبراني في الكبير (٢٠٦/١٠)، وفي الأوسط (١٨١٤)، وابن حبان (١٩٢)، والحاكم (٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٩٣/١٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.اهـ. وقال الحاكم: حديث صحيح.اهـ. وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٣٨١).

(٢)أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣)أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

المطلب الرابع: أنواع الحوار الحضاري:

أولاً: حوار الإصلاح:

وهو أهم أنواع الحوار وأعظمها، حيث عمد أنبياء الله وورثتُهم من العلماء والدعاة إلى حوار الناس بغية تعريفهم بدين الله وإنقاذهم به، فالحوار الإصلاحي أحد أعظم وسائل الدعوة إلى الإسلام، حيث يعمد المحاور إلى تبيان مقاصد الإسلام في تشريعاته، لذا تتركز موضوعات حوار الدعوة حول التعريف بالله عز وجل، والتعرف إلى حكم أفعاله، وصواب تشريعاته، وصلاح أحكامه، والمتتبع لما ورد ذكره في القرآن عن أحوال الأنبياء يظهر له أهمية هذا اللون من ألوان الحوار، الذي لم تُغفِله دعوة نبي منهم أو مصلح ممن تبعهم بإحسان(١).

فها هو نوح عليه السلام يجادل ويحاور قومه قروناً طويلة، من غير كلل ولا ملل، دعاهم ليلاً ونهاراً، أسر لهم، وأعلن لهم جهاراً، فقالوا: ﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (هود: ٣٢).

وعلى هذا الهدي سار أنبياء الله من بعد نوح، فقصَّ الله علينا في القرآن حوار إبراهيم مع النمرود، وحوار موسى مع فرعون، بل وذكر لنا الكثير من حوار الأنبياء مع أقوامهم.

قال ابن تيمية: " فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله تعالى:)قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا((هود: ٣٢) وقوله:)وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه((الأنعام: ٨٣) وقوله:)ألم تر إلى الذي حاج

---

(١) ينظر: الحوار النافع بين أصحاب الشرائع، عبد الرحمن الحوراني، إصدارات رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٥٨، السنة الرابعة عشر، ١٤١٦هـ، ص٤٠.

إبراهيم في ربه((البقرة: ٢٥٨) وقوله:)وجادلهم بالتي هي أحسن((النحل: ١٢٥) وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع".[١]

وأرسل الله سيدنا محمد خاتم الرسل داعياً إلى الله ومبشراً بدينه، آمراً إياه بدعوة العالمين إلى هذا الدين: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥).

وقد اعتبر العلماء المجادلة والمناظرة والحوار من واجبات الإسلام التي أوجبها الله على أهل العلم والبصيرة، واستدلوا بما سبق ذكره من نصوص قرآنية تحدثت عن أمر الله لأنبيائه بالحوار أو فعلهم عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن تيمية في سياق حديثه عن قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥): "والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم ".[٢]

وفي هذا الصدد يستدل ابن حزم على وجوب الجدال والمناظرة بقول النبي ﷺ: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)).[٣] ويقول: "وهذا حديث في غاية الصحة، وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله".[٤]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية: دار الكتب العلمية – بيروت تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن (دط) ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.(١٥٦/٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥١/١-٥٢).

(٣) رواه أحمد ح (١١٨٣٧)، والنسائي ح (٣٠٩٦)، والحديث إسناده صحيح.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (٢٧/١).

وبالنظر إلى آثار الحوار ونجاعة طريقته في نشر الحق يجزم ابن حزم بفضل هذا الأسلوب من أساليب الدعوة، ويراه أنجع من غيره من وسائل حماية الدعوة كالجهاد في سبيل الله، إذ "قد تُهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تُغلب أبداً، فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمّة .. لأن السيف مرة لنا، ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبداً، ودامغ لقول مخالفينا، ومزهق له أبداً، ورُبَّ قوة باليد قد دمغت بالباطل حقاً كثيراً، فأزهقته ... وقد قتل أنبياء كثير وما غُلبت حجتهم قط، وفي المقابل، فإن "أفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم؛ إنما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة محمد ﷺ عندهم، فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد المسلمين".[1]

ويثني ابن حزم بدليل آخر، فيقول: "أول ما أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يدعو له الناس بالحجة البالغة بلا قتال، فلما قامت الحجة وعاندوا الحق أطلق الله تعالى عليهم السيف حينئذ، وقال تعالى:)قل فلله الحجة البالغة((الأنعام: ١٤٩). وقال تعالى:)بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق((الأنبياء: ١٨)".[2]

يقول ابن القيم داعياً إلى محاورة أهل الكتاب: "جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٢٦/١).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٢٦/١).

إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليولِ ذلك إلى أهله، وليخلِ بين المطي وحاديها، والقوس وباريها ".[١]

وأما موضوع الدعوة والحوار فإنه حول أصول الدين وسبيل سعادة الدارين: ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران: ٦٤).

قال الطبري: " قل يا محمد لأهل الكتاب – وهم أهل التوراة والإنجيل – ﴿تعالوا﴾ هلموا ﴿ إلى كلمة سواء﴾، يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحد الله، فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً، وقوله: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه، ﴿فإن تولوا﴾ يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾ ".[٢]

إذاً نخلص إلى القول بأن حوار الدعوة واجب ديني تتابعت النصوص على الدعوة إليه، وهو مطلب أخلاقي يفرضه علينا رحمتنا بالآخرين، وحرصنا على هدايتهم، واستنقاذهم من أوضار الكفر والعقاب الأخروي.

---

(١)زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة دار المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، لعام ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (٦٣٩/٣).

(٢) جامع البيان (٣٠١/٣).

ثانيا: حوار التعامل:

إن الضرورة الحياتية توجب علينا البحث عن قواسم مشتركة نبني عليها علاقاتنا، وهو ما يملي على المختلفين في عقائدهم ومذاهبهم اللجوء إلى لون آخر من ألوان الحوار، وهو حوار التعامل، وهو حوار بعيد عن أصول الدين والمعتقد، حوار تفرضه السياسة الشرعية، وتمليه طبيعة التعايش بين البشر؛ بحكم الجوار والمصالح المتبادلة.

وقد بينت الشريعة بنصوصها أو بقواعدها العامة الأسس والضوابط المتعلقة بهذا اللون من ألوان الحوار، وأبرز معالم هذا النوع من الحوار:

- الاعتراف بوجود الآخر واختياره للدين والمعتقد.

الاعتراف باختلاف المتحاورين وخصوصية كل دين، ونبذ التوفيق والتلفيق بين أديان الأطراف المتحاورة [١].

- تجنب أو الحذر في البحث في المسائل العقدية الفاصلة، حفاظاً على استمرارية الحوار وضمان ديمومة التعاون على تحقيق القيم أو المصالح المشتركة.
- تجنب إطلاق الألفاظ المفسدة لأجواء الحوار، كإطلاق الكفر على المحاورين أو الحديث عن خلودهم في النار أو الطعن في مقدساتهم، وتجنب هذا ليس تسويغاً له البتة.
- إبراز أوجه التشابه والاتفاق بين الأطراف المتحاورة، والتركيز عليها لاستثمارها وتنميتها، وإقصاء أوجه التباين والافتراق لما لها من أثر سلبي على الحوار.

الدعوة إلى معرفة الآخر كما يريد هو أن يُعرف، ورفع الأحكام المسبقة عنه، مع التأكيد على الدعوة إلى نسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه، والتخلص من

---

(١) ينظر: الحوار في الإسلام حقائق ونتائج، عبد المحمود أبو، دار الرافدين، بيروت، ط٢، ٢٠١٦، ٢٩.

آثاره [١].

وهذا اللون من الحوار مشروع وجائز، فقد شهد النبي ﷺ في شبابه حلف المطيبين الذين اتفقوا على رد المظالم وإعانة المظلوم، وهو لون من اللقاء حول أسباب التعايش.

وحين بُعث عليه الصلاة والسلام أكد مشروعية مثل هذا العمل النبيل والتزامه به فقال: ((ما شهدت من حلف إلا حلف المطيبين ، وما أحب أن أنكثه، وأن لي حمر النعم))، وفي رواية أنه قال: ((ولو دعيت به اليوم في الإسلام لأجبت)). وفي رواية عزاها ابن كثير في السيرة إلى الحميدي: ((لو دعيت به في الإسلام لأجبت؛ تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم مظلوماً)).[٢] فقد أقر ﷺ اللقاء مع الكافر على مثل هذه القيمة النبيلة والخصلة الحميدة.

قال ابن حجر في الفتح: " وكان حلفهم أن لا يعين ظالم مظلوماً بمكة، وذكروا في سبب ذلك أشياء مختلفة محصلها: أن القادم من أهل البلاد كان يقدم مكة، فربما ظلمه بعض أهلها فيشكوه إلى من بها من القبائل، فلا يفيد ، فاجتمع بعض من كان يكره الظلم ويستقبحه، إلى أن عقدوا الحلف ، وظهر الإسلام وهم على ذلك ". [٣]

وقال القرطبي رحمه الله: "ذكر ابن إسحاق قال: اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٣٠-٣٣.

(٢) رواه أحمد ح (١٦٥٨)، والبخاري الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)ح (٥٧٠).

(٣)فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ . ١٩٦٠م (٤٧٣/٤).

أهلها أو غيرهم إلا قاموا معه، حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت))، وهذا الحلف هو المعنى المراد في قوله عليه السلام: ((وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة))[١]، لأنه موافق للشرع إذا أمر بالانتصاف من الظالم".[٢]

قال المباركفوري: "قوله: ((أوفوا)) من الوفاء، وهو القيام بمقتضى العهد ((بحلف الجاهليّة)) أي العهود الّتي وقعت فيها، ممّا لا يخالف الشّرع لقوله تعالى: ﴿أوفوا بالعقود ﴾ (المائدة: ١) لكنّه مقيّدٌ بما قال الله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (المائدة: ٢)، ((فإنّه)) أي الإسلام ((لا يزيده)) أي حلف الجاهليّة الّذي ليس بمخالفٍ للإسلام ((إلّا شدّةً)) أي شدّة توثّقٍ، فيلزمكم الوفاء به".[٣]

قال ابن القيم: " وأمّا قول النّبيّ ﷺ: ((شهدت حلفاً في الجاهليّة ما أحبّ أنّ لي به حمر النّعم، لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت))، فهذا – والله أعلم – هو حلف المطيّبين، حيث تحالفت قريش على نصر المظلوم، وكفّ الظّالم ونحوه، فهذا إذا وقع في الإسلام كان تأكيدًا لموجب الإسلام وتقوية له، وأمّا الحلف الّذي أبطله فهو تحالف

---

(١) رواه مسلم ح (٢٥٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٣/٦)، وانظر شرح النووي على مسلم (٨٢/١٦).

(٣)تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لأبي العلا محمد عبدالرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود ، دار الكتب العلمية – بيروت، ومكتبة طبرية – الرياض (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) (١٧٣/٥).

القبائل: بأن يقوم بعضها مع بعض وينصره، ويحارب من حاربه، ويسالم من سالمه، فهذا لا يعقد في الإسلام".[١]

قال ابن حجر: " ذكره ابن إسحاق وغيره ، وكان جمع من قريش اجتمعوا فتعاقدوا على أن ينصروا المظلوم وينصفوا بين النّاس ونحو ذلك من خلال الخير، واستمرّ العمل بهذا الحلف بعد البعثة النبوية، ويستفاد من حديث عبد الرّحمن بن عوف أنّهم استمرّوا على ذلك في الإسلام، وإلى ذلك الإشارة في حديث جبير بن مطعم...".[٢]

وهكذا، فإن الأمة المسلمة لا تتوقف في حوارها مع الآخرين على القضايا الدينية، بل تمد أيديها إلى الآخرين، وهي تسعى في حوارها إلى تحقيق المصالح المشتركة التي تنشدها الأطراف المختلفة، عبر حوار التعامل والتعايش الذي يؤمِّن المزيد من الاستقرار والرخاء لشعوب الإنسانية، ويعين البشرية على تجاوز الكثير من الشرور على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي، وغيرها.

---

(١)عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته: للإمام محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو عبد الرحمن شرف الحق الصديقي العظيم آبادي (ت١٣٢٩هـ) دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة: الثانية (١٤١٥هـ) (١٠١/٨).

(٢) فتح الباري (٥٠٢/١٠).